الصّورة البصريّة ودورها في ترسيخ معارف العلوم الاجتماعية كتاب التاريخ والجغرافيا والتربية المدنية للسنة الثالثة ابتدائي أنموذجا - وصف، تحليل و تقييم -

د. شفيقة العلوي ، المدرسة العليا للأساتذة ، بوزريعة ، الجزائر

البريد الإلكتروني :chalaloui@gmail.com

ملخّـــــص

لا شك أنّنا لن نختلف إذا ما قلنا إنّ الصورة لا تحتـــاج دائما إلى المصاحبة اللّغوية اللّفظية حتى تنفذ إلى إدراك المتلقي، وتثـــــــــري معرفته وتؤسّس لملكته اللسانية المستقبلية. إنها موضّحة للدّرس التعليمي وممهّدة له.

وعليه، فمن المفيد أن يُدرك المعلّم أنّ نجاح رسالتـــــه التّعليميّة وحسن تواصل المتعلّم مع الكتاب المدرسي وملازمتـــــه له إنّما يقوم أساسا على ربط الدّرس بالصورة التعليمية وحسن قراءة أبعادها ،وتمثّل رموزها التي تترك لا محالة أثرا واضحا في ذاكرة المتعلّم، وتهذّب سلوكه وتنمّي قدراته . فالصّورةُ ،إذاً ، ترسّخ المعلومةَ .

الكلمات المفاتيح :

الصورة البصرية .العلـــــوم الاجتماعية .الصورة التعليمية .وظيفة الصـــــــورة في العلوم الاجتماعية .

l'image optique et son role en sciences sociaux
livre de 3eme année primaire d'histoire-geographie et d'education civile
description-annalyse et evaluation

Résumé

Nul ne peut démentir que l'image n'a toujours pas besoin d'une explication linguistique pour atteindre l'entendement du récepteur, pour enrichir ses connaissances et renforcer ses capacités intellectuelles. L'image explique la leçon éducative ou l'introduise. Il est donc important que l'enseignant sache que son message éducatif et son adaptation avec le livre scolaire, sont essentiellement basés sur la relation entre la leçon et l'image optique éducative.

Les mots clés :

L'image optique- le livre scolaire –l'mage didactique-la fonction de l'image – l'image en sciences sociaux.

مقدمـــــة :

لا ريب أنه من الضرّوري اليوم في القرن 21 الذي تســـــــوده ثقافة العولمة والمعرفة المستدامة والتقنيات التكنولوجية الحديثة اعتماد الصورة ـ كدعامة أساسية وبنّاءة لتفعيل النشاط التعلّمي.

إنّ اللّفظ بحاجة إلى الصّورة حتى يتمكّـــن من النّفوذ إلى عقل المتلقي/المتعلّم وينوّع معارفه ويهذّب وجدانه ويستنطق بواطنه. إنّ الإيمان بوظيفة الصورة ضرورة حتمية من أجل تحديث وعصرنة النشاط التّعلمي، والتقّليل بذلك من دور الذاّكرة اللفظيـــــة الاسترجاعية المعتمدة كوسيلة أساسية لترسيخ الرّصيد اللّغوي والمعرفي داخل النّشاط الصفي في القسم. وهذا من شأنه – إن لم يُحسن توظيفه – إنتاج عقول آلية ببغاوية تنعدم فيها روح المبادرة.

1. دور الصّورة والصّورة التعليمية :

إنّ الصّورة البصرية سواء أكانت فوتوغرافية أو يدويـــــة، ثابتة أم متحركة، سوداء أو ملوّنة / تعدّ وسيلة تواصلية وثقافـــــة بصرية تعليمية. فهي الطريق الأيسر وغير المباشر لنقل المعرفة، واستدعاء النشاطات الفكرية وتقوية قوة الذاكرة، لذا «**لزم أن يكون الاهتمام بالرموز البصريّة على نفـــــــــس القدر من الأهميّة التي حظيت بها الرّموز في اللّغة اللفّظية**» [1] . لأنهّما وسيلتان تعليميتان متداخلتان تستدعيان بعضهما البعض.

لقد غدت الصّورة والصّورة التعليميـــــة – على وجه خاص – أداة عالمية الهدف، تضمن التوّاصل المعرفي والإنساني عبر الزّمـــــان والمكان، وتثير الذاكرة الفرديّة والجماعيّة، كما تُنبّه للسّلوكات المرفوضة وتسعى لتعديلها بما يتوافـــــق مع المثل الاجتماعية والقوميّة «**فالصورة... هي العامل المشترك الأساسي في الغالبية العظمى من العروض الضوئيّة والمباشرة والكتب المدرسية، لذلك، فهي إحدى دعامات أيّ نظام تعلّمي**» [2] . ولذلك، فهي تضطلع بتحقيق الوظائف التالية:

1 - إنّها تشجّع المتعلم/المتلقي على الملاحظـــــة، وتدفعه دفعا نحو الاستنتاج الفعّال والتفكير النقدي الواعي الإيجابي والاستدعاء الحرّ.

2 - إنّها مشوّقة ومثيرة لاهتمام المتلقّي برسوماتها الملوّنة المصاحبـــــة للغة اللّفظيّة الحرفيّة وخطوطها المميّزة التي تحمل دلالات خاصة، تزيـد المحتوى توضيحـــــا وترسيخا «**فالصّورة يمكن أن تقوم بدور رئيسي في حمـــــــل الرسالة التّعلميّة، بحيث تجعل التّعليم والتّعلّم نشاطين ناجحين فاعلين**. » [3]

إنّ الصّورة بألوانها وخطوطها وأشكالها وأبعـــــادها وأحجامها توضّح اللغة الحرفية وتزيل أيّ غموض قد يكتنفها.

3 - إنّها تحقّق التواصل الزماني والمكاني والإنساني والروحي بين الأفراد والجماعات.

4 - إنّها توضّح وتشخّص المفاهيـــــــــــــــــــــم الصعبة الإدراك.

5 - إنّ الصّورة البصريّة سواء التي يحضرها المعلّم أو المجسّـــــدة في الكتاب المدرسي هي بحقّ

تمثيل حيّ للواقع المعيشي وجزء مهم منه، فلا يجب – إذًا – أن تنحرف – أي الصّورة – عن هذا الهدف التعلّمي الاكتسابي النّبيل.

ولكي تتمكّن الصّورة البصريّة الثابتة التي يحتويهـــا الكتاب المدرسي من أداء وظيفتها التربوية التّعليميّة، لابدّ أن تتوفّر فيها جملة شروط، أهمّها:

- أن يقتضيها الموضوع، فتتكامل مع اللّغة اللفظيّـــــة، وتقدّم توضيحات دلاليّة أكثر تفسيرا. وبذلك تملأ الحرف وتزيده وضوحا.
- أن تراعي الطّاقة الاستيعابيّة للمتلقي وقدراته العقليـــــة المتفاوتة والفوارق الطبقيّة.
- أن تكون واضحة لا مستغلقة، تساعد على البـــــلوغ للهدف.
- أن تخلو ممّا قد يشتّت الذهن، وتثير المتعلّم وتمكّنه من التّركيز على الأجزاء المهمّة منها.
- أن تجدّد معارفه، وتدفعه دفعا نحو التفّكير الإبداعي الانتقائي.
- أن تخاطب وجدانه، وتُسحر كوامنه، فتغذّي بمحتواها البصري عقله في وقت زمني وجيز، يسبق اللغة الحرفيّة «فإمداد الحياة للدروس العلمية الجافة يتوقّف على حسن استخدام الصورة التّعليمية كمثير يجدّد النّشاط الذّهني للمتلقي،... إنّها عامل ارتباط للمعارف المتتابعة في حياة الفرد الثقافية» [4] . إنّها هيكل الكتاب وتضاريسه، وجسر يوصل الكلمة للذهن، فتُفهَم وتُستحضَر «فالذات المبصرة تجزّئ المعطى البصري، وتنظّمه داخل أشكال لتجعل منه دلالات وكيانات لغوية . » [5]

2. دور الصورة في المنهاج التربوي :

إنّ صناعة كتاب مدرسي ليس بالأمر الهيّن، فهو يتطلّب تظافر الجهود، وتناسق الأهداف وتنوّع المصادر والباحثين من تربويين ولغويين ومعلّمين وفنانين ورسّامين. حتّى يُتمكن – في الأخير – من إخراج مدوّنة تربويّة حرفيّة وبصريّة عالميّة الأهداف، واقعيّة المناهج، تعزّز فرص الاكتساب وتقوّم المهارات القبلية والبعدية، وتحقّق التّوازن النفسي، اللّغوي والمعرفي لدى المتعلمين.

إنّ الكتاب المدرسي هو الواجهة التي تعكس أيّ تجديد في المناهـــج التعليمية والرؤى الإيديولوجية الوطنية. إنّه المرآة التي تعكـــــــس المجتمع بقيمه الرّوحيّة والماديّة، بتغيّراته الإيجابية والسّلبية بتقدّمه أو انتكاساتـــــه؛ لذلك كان لزاما على المشرفين على صناعته (أي صناعة الكتاب المدرسي) أن يحرصوا على الحضور النّوعي الوظيفي للصورة لا الحضور الكمّي العددي الذي يثقلها، وقد ينفّر منها . [6]

لقد كان المشرفون على صناعة الكتـــاب المدرسي – في الجزائر – واعين بأهمية ودور الصّورة، وهندسة ألوانها وتناسق أشكالها، فقـــــــد ورد في الوثيقة التربوية المرافقة للمنهاج « **تأكيد على دور الصّورة البصرية كوسيلة تعليمية ناجعة وفعالة من أجل توصيل الحقائق والأفكاروترسيخ الكفاءات، وشرح الدرس وتوضيحـــــه، وهي أنواع متعددة**» [7] كالسبورة والأقراص المضغوطـــــــة (CD) والجهاز السّمعي البصري، والزيارات الميدانية،

والمداخـــلات والبحوث الجماعية والجداريات والصحافة الحائطية...، لكن يبقـــــى الأهمّ منها هو الصورة البصرية الثابتة والمتحركة على حدّ سواء.

3.الصّورة التّعليمية البصريّة في كتاب التاريخ والجغرافيا للسنة الثالثة ابتدائي:

إنّ كتاب التاريخ الذي يُعدّ أوّل احتكاك للتلميذ مع العلوم الاجتماعيّة كنتيجة حتميّة للإصلاح في قطاع التّربية والتعّليم، قد اعتمد في عرض وضعياته التّعليمية على ثنائية الصورة واللّون. فلا تكاد تخلو وحدة تعليميةٌ من صور ثابتة مرسومـــــة يدويا (بلغ عددها 23 صورة) أو مصوّرة فوتوغرافيا (بلغ عددها 65) والتي لا يُتمكّن منها إلا بحاستي البصر واللّمس.

إنّ الكتاب زاوج بين النمّطين، إلا أنّ النّوع الثّاني بدا غالبا ؛ ولربّما يكمن السّر في أنّ الصّورة الفوتوغرافية حيّة، فهي انعكاس ضوئي مباشر للواقع، لا يضيف له ظلا لا قد تشوّش الصورة، ولا يُنقص منه أبعادا قد تخفي حقيقة الأجسام ووجوه الشخصيات الوطنية . وهذا ما نلاحظه في صفحات (32، 40، 41، 67، 77، 79، 85)، حيث عرض الكتاب صورا للأماكن الجزائرية والتّحف الأثرية والشخصيات الوطنية، فكانت وظيفيّة في أهدافها المعرفيّة.

لقد كان عند المشرفين على صناعة هذا الكتـــــاب وعي بأهميّة الخط والمزاوجة بين ألوانه . فقد ورد الخط مستقيما غير منحن. يرسّخ مفهـــــــوم القوة والثبّات عند المتعلّم، فيستقرّ أمام الفقرات التي يقرأها ولا يتعجّل . ولقد أعطت الألوان لهذا الخط قيمة جماليّة ومعرفيّة، إذ استخدم اللّون الأسود عند عرض الأفكار السّطحية والأسئلة والجمل الإنشائية الممهّدة للموضوع . ثمّ انتقل إلى اللّون الأزرق والبرتقالي والأخضر، فاللّون الأزرق رمز السّكينة والدّافعيّة للتحّصيل والنّجاح، واللّـــــون البرتقالي رمز الحرارة والجاذبية. وهي جميعا ألوان هادئة. وأمّا اللّون الأخضر فهو دليل البرودة والهدوء والسّكينة.

إنّ كتاب التاريخ لهذه المرحلة أحسن توظيف الألوان، فالمزج بين الألوان الفاتحة والقاتمة معا، وعدم الاكتفاء باللون المعتّم ضروريّ للتّلميذ. لأنّه يريح بصره ويزيل عنه الملل، ويجذبه نحو الكتاب ونصوصه، فيقف أمام فقراته مشدودا إليها متصفّحا إياها بنفس هادئة مطمئنة، ويتمكّن حينئذ من فهم مضامين الكتاب وتغيير السّلوكات التي تتنافى مع القيم المكتسبة.

إنّ الطريقة التّربوية .اليوم .هي التي تعتمد على النموذج البنائي للتعلّم الذي يجعل المتعلّم هو الفاعل الرئيسي في مسار التعّلم ومحور نشاطاته. فإذا لاحظ وفهم دلالات الصور المتتالية والمتعاقبة أمامه وصل بعد الحوار والتّحليل داخل القسم (النشاط الصفي) إلى مرحلة التقّويم والاكتشاف والنقد الواعي الاختياري . [8]

وإذا انتقلنا إلى صفحة الغلاف الخارجي، نلاحظ غلبة اللّون البرتقالي بتدرجاته المتناسقة المتناغمة . وهو لون– حسب أهل الاختصاص – هادئ يولّد في النّفس الشعور بالسّكينة والجاذبية، إذ ينجذب تلميذ هذا الطور التّعليمي من الكتاب منذ الملامسة الأولى للغلاف الخارجي بسبب هيمنة لغة الألوان التي كانت أقرب زمنيّا إلى نفسه من اللّغة الحرفية.

ويتوسّط الغلاف رسومات كخارطة الجزائر وصـورة الأمير عبد القادر مؤسّس الدّولة الجزائرية. وقد بدت صورة بارزة ووظيفية التّموقع في تضاريس الكتاب متصدّرة اليمين. فهذا استخدام بنّاء، يربط التلميذ بمحطات تاريخية متباينة عرفتها بلاده الجزائر .[9]

والجميل في هذا الكتاب هو الاستخدام الوظيفي لألوان الكتابة ، التي تنوّعت بين الأسود عند عرض المحتوى التّعليمي ، والأزرق والبرتقالي والأخضر والوردي عند كتابة العناوين الرئيسية والفرعيّة ؛ وكذا عند توجيه المعلّم والمتعلّم على حدّ سواء نحو المضامين المراد فهمها (أقرأ وأتسائل)، (ألاحظ وأجيب) أواكتسابها وترسيخها (أستنتج) ، (أضيف لمعلوماتي) أو ترجيعها والتّدريب عليها (أختبر نفسي في كراس المحاولة) ، بغية تثبيت المصطلحات التاريخية الجديدة على التّلميذ في هذه المرحلة التعلّميّة مثل مصطلح الحدث الشخصي والاجتماعي أو مصطلح وحدات الزمن والفرق بينها .[10]

إنّه لمن المفيد للمتعلّم في هذه المرحلة العمريّة توجيهه عن طريق الكتاب إلى النّشاطات التعّليمية ، وجعله يمايز بينها من حيث الأهميّة والنّـــــوع دون أن يحتاج إلى مرافقة المعلّم وتوجيهه السّلطويّ الفوقيّ . وهذا ما نلاحظه في كتاب التاريخ للسنة الثالثة ابتدائي ؛ إذ صدّر كلّ عنوان لمهارة تعلّمية جديدة برسومات بصريّة يدويّة ، تحثّ على القراءة وتكشف عن نوعية النّشاط كصورة طفل يحمل بين ذراعيه كتابا وهو يقرأ ، أو توجّهه إلى المقارنة والتّحصيل من خلال صورة أخرى تتصدّر يمين العنوان الفرعي (ألاحظ وأجيب) .[11]

فهذا التّصوير وظيفي من ناحيتين ؛ لأنّه يرفـــع الملل والرتابة ويضفي جمـــــالا على صفحات الكتاب تزيد المتعلّم إقبالا نحوه .

إنّ التّاريخ رغم كونـــــــه مادة اجتماعية جافة لعلميتها ، وتعاملهـــــا مع الأحداث الزمانية البعيدة عن ذاكرة وحياة المتعلم ،إلاّ أنّ الإكثـــــــار من توظيف الألوان المختلفة

والمتناغمة ، وبل وطغيان الصـــور المعبّرة عن الأحداث يسقط عن هذه المادة الاجتماعية ثقل علميتها وجفاف منهجها . فيعمل على ترسيخ المعرفة والمعلومات بطرق متباينة قد تتمّ باللغة اللّفظيّة مثل عبارات (أستنتج ، أضيف لمعلوماتي) أوبالصورة. كما يبدو من خلال صفحة 32 ؛ إذ تعاقبت4 صور متقابلة تعرّف التلميذ بالأماكن التاريخية في معسكر أين جرت مبايعة الأمير عبد القادر مثل (دار القيادة ، ومسجد المبايعة، ومحكمة الأمير عبد القادر ، وكذا شجرة الدردارة التي احتضنت المبايعة التاريخية)

ولا يختلف حال النّشاطات التقّويمية عن الوحدات التّعليميّة المعرفيّة .فلم تخلُ هي الأخرى من توظيف الصّور الحيّة الفوتوغرافيّة الدقيقة التّفاصيل، والمنسجمة الألوان مثل صورة لبعض مؤسسات الدولة الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر، وصورة الكعبة الشّريفة والحرم المدني اللذين اعتمدا كبوابة لتدريب المتعلّم على التقويم الهجري وتمييزه عن التاريخ الميلادي، وصورة لمفدي زكريا وبعض شهداء الثورة وأبطالها الأوّلين.

4. الصّورة التّعليمية البصريّة في كتاب الجغرافيا للسنة الثالثة ابتدائي :

يقرّ المشرفون على صناعة هذا الكتاب على أنّ الهدف من بنائه هو تمكين المتعلّم من اكتساب مفردات ومصطلحات بسيطة تؤدّي إلى بناء الكفاءة القاعدية [12] . ولأجل تحقيق هذه الغاية استعان الكتاب بالسندات الحسيّة المتنوّعة والمتناسبة مع الوضعيّات التّعلميّة . وأهمّ هذه السندات الصّورة البصرية .

لقد أكثر الكتاب من توظيف الصـــورة الثابتة لا المتحرّكة في جلّ صفحاته، فلا تكاد تخلو صفحة منه[13]، وكانت فوتوغرافية مباشرة، مشخّصةً للأبعاد والأماكن والأجسام أكثر منها يدوية . ففي الصفحة (26-27) عرُضت صور لمظاهر الطبيعة المتنوعـــة من ريف أو مدينة،

نخيل أو صحراء، أرض زراعية أو جبلية، ومصانع. وكان وصفا دقيقا يجول بالمتعلم بمختلف مظاهر الحياة الطّبيعيّة المحيطة به والموجودة في المدينة أو الريف على حدّ سواء . فلم تترك هذه الصورة المتكاملة للمتعلّم فرصة للبحث عن مظهر طبيعي قد يراه في وجوده المادي ولا تعكسه الصورة.

وإذا انتقلنا للغلاف الخارجي لهذا الكتاب، ووقفنا أمـــــام طبيعة ألوانه وخطوطه، تستوقفنا ظاهرة تتقاسمها كتب الاجتماعيـــات الثلاث (أي كتاب التاريخ، الجغرافيا والتربية المدنية)، وهي مبدأ ترسيخ القيم الوطنية في نفوس التلاميذ وربطهم روحيا بالرآية الوطنيّة رمز السّيادة والحريّة.

فكتاب الجغرافيا تلونّت خطوط غلافه الخارجي باللّون الأخضر، الأحمر والأبيض التي تزيد المتعلّم فعلا إحساسا بالموقعيّة الجغرافية لبلده الجزائـــر، والانجذاب – بذلك – نحو الكتاب ونشاطاته التعّليميّة.

5. الصّورة التّعليمية في كتاب الجديد في التّربية المدنية للسنة الثالثة ابتدائي :

يبحث هذا الكتاب لهذه المرحلة التعلّمية في مسألة الهويّة والمواطنة، ويسعى لتعزيز مفاهيم الحياة، الديمقراطيّة والرّوح الجماعيّة بين المتعلمين. ولذلك وظّف الكثير من الصّور البصريّة الفوتوغرافيّة التي تعكس الأرض والبلاد بنسبة 87%، فهي تشغـــــل كمّا هائلا منه؛ وحتى الغلاف الخارجي الذي يعدّ بوابته العلميـــــة وحافظا له من التّمزّق ، روعي فيه نوعيّة الألوان وجاذبيتها.

لقد احتوى الكتاب ألوان الرّاية الوطنيــة (الأبيض، الأحمر والأخضر) [14] رمز السّيادة والاستقلال والحرية، .فقد خُطّ عنوان الكتاب «الجديد في التربية المدنية» باللّون الأبيض مُدرجا داخل إطار مستطيل أحمر اللون، يدلّ عند النّفسانيين والفنانين على صفاء النّفس وراحتها، وبهذا يسهل انقياد المتعلّم نحو الأثر المعرفي الجديد عليه في هذه المرحلة العمرية والعقليّة . ولوّنت المساحة الباقيّة من الغلاف الخارجي بالأخضر ليُكسب المتعلّم الشّعور بالهدوء والاسترخاء والسّكينة.

إنّ هذا الانسجام اللوني يعزّز الهويّــة الوطنيّة للمتعلّم ويؤهّله نفسيّا لاستلهام الملكة اللّسانيّة للكتاب بكلّ ثقة.

ولكنّ المعيب في رسومات الغلاف الخارجي هو اللّون الأحمر الذي يحمل دلالات خاصة عند التّربويين . فهو رمز مثبّط . يدّل على العنف والثورة والقوة أو الفشل. وكأنّ صنّاع هذا الكتاب المدرسي (الجديد في التربية المدنية) يرهبـــــون التّلميذ من هذا النّشاط التعلّمي «أي التربية المدنية»، فيضيع الهدف التربوي المنوط منه «**وهو انتقال التلاميذ من المادة المرئيّة في الصّورة إلى ترجمتها في عبارات وألفـــــاظ تدلّ عليها وتوضّح معناها، ويمكن للمعلّم أن يعالج هذا النّوع من خلال عرض صور تمثّل مشاهد معيّنة أو استغلال الصّور الموجودة في الكتاب**» . [15]

وبالرغم من احتواء الكتاب على كمّ هائل من الصّور الفوتوغرافية الحيّة التي تكاد تطغى على الرّسومات اليدوية إلا أن عدم وضوح معالمها (أي الصور الفوتوغرافية)، أضعف دورها . ففي الوحدة التعّليمية (**وطني الجزائر**) [16] نلاحظ ثراءً من حيث التّوظيفُ البصريّ للصّورة . لكنّها – للأسف – غير دقيقة وغير مكتملة الهندسة ؛ إذ لولا العناوين الجزئية التي يُذيّل بها أسفل الصورة لايتمكّن التلميذ في هذه المرحلة العمريّة من اكتشاف تلك المناطق السّياحيّة أو الأثريّة التي يعرضها الكتاب كجامعة قسنطينة، أو الجامع العتيق بتلمسان أو جبال الشريعة المكسوّة بالثلج . فأمام هذه الصورة – مثلا – لا يفهم التلميذ حقيقة البياض الذي يلوّنها، فهل هو بياض الثّلج أم بياض الورقة النّاتج عن إخراج الكتب وطبعها.
فعدم وضوح معالم الصّورة البصريّة يفوّت – حتما – على التّلميذ فهم المحتوى الاجتماعي للموضوع، وتضيع هنا فرص التعلّم ويتأخّر الاستنتاج الفكري والإدراك . فهذا قصورٌ بيّنٌ، يُضعف الكتاب، رغم تأكيد المشرفين على صناعته على ضرورة اعتماد الصورة والرسومات المصاحبة للنّص كوسيلة أساسيّة لبناء التعلّمات قبل الوصول للمقاربة النصيّة التي تقوم

على استكشاف النتائج لتدعيم وإثراء المعرفة البصريّة للوصول بالمتعلّم إلى المهارة المعرفية والوجدانية . [17]

وإذا انتقلنا إلى صفحات 31، 32 من الكتاب، نجد أنّ صورها لا تعكس الموضوع تفسيرا أو تفصيلا، إذ تتعاقب أمام التّلميذ صورة لتجمُّع التلاميذ في ساحة المدرسة، وأمامهم المدير يخاطب تلميذا آخر خارجا عن الصف. وصورة لانصراف وخروج التلاميذ من المدرسة بشكل فوضوي غير نظامي، وأخرى لطفلة صغيرة تكتب على كراسها. فهذه الصّور – إذًا – لا تستطيع بهندستها وألوانها الفاترة أن ترسّخ وحدها بدون مصاحبة اللغة اللّفظيّة قيمة النّظام

والانضباط في المدرسة وكذا الاحترام والمودّة والسّلوك الحسن، إذ لن يفهم المتعلّم هذه القيم من تلك الصّور المعروضة أمامه، فهي غير منتقاة بدقّة وبعيدة في محتواها عن مضمون الوحدة التّعليميّة . وعلى العكس من ذلك، تتأكّد الوظيفة البصريّة للصّورة وقدرتها على ترسيخ الكفاءة المعرفيّة والقيم التّربويّة في صفحات أخرى من الكتاب . [18]

ففي الصفحة 37 عُرضت صور لرجال الحماية المدنية والهلال الأحمر الجزائري وهم يجسّدون فعلا مفهوم التّضامن مع ضحايا زلزال بومرداس 2003 أو فيضان باب الوادي.

وكذلك الحال في الصفحة 42 التي تتحدّث عن قيمة احترام الدّور، فقد جاءت الصّور البصرية ناطقة قبل اللّفظ، إذ تستطيع أن تنقل وحدها المقاربة المقصودة من الوحدة التّعليمية[19](الحياة الاجتماعيّة)[20]. فقد أورد صانعوا هذا الكتاب صورا متقابلة لسلوكات مرفوضة وأخرى مقبولة كصورة تدافع التلاميذ بشكل فوضويّ لأجل الظّفر

بكرسيّ داخل حافلة النّقل المدرسي ، تقابلها صورة تلاميذ في طابور منظّم ينتظـــرون دورهم في هدوء لأجل ركوب الحافلة . إنّ الصّورة البصرية هنا وُفقّت وحدها وبمعـــــزل عن النّص في تعزيز المهارة المعرفيّة وترسيخ قيمة النّظام في لا شعور الفرد أو الجماعة.

خاتمـــــة :

هذه – إذًا – قراءة متواضعة لحضور الصّورة البصريّة التّصويريةالتعليمية في كتب التاريخ والجغرافيا والتّربية المدنيّة للسّنة الثالثة ابتدائي؛ قراءةٌ حاولت أن تجمع بين الوصف والاستقراء ، التّحليل والتّقييم لأنواعها وأدوارها وآلياتِ توظيفها والأهداف المنوطة منها في ظلّ الإصلاح التّربويّ الذي يُنادي به هذا القطاع ؛ في خطوة هامّة لاستكشاف واقع الكتاب المدرسي وفعاليّة صناعته ومدى ارتباطه بمظاهر الحياة الاجتماعيّة، حتى يغدو – فعلا – الكتابُ انعكاسا مباشرا للمجتمع وأحداثه وتغيّراته السّلبية أو الإيجابية.

الهوامـــــــش :

(1) عبد العظيم الفرجاني، تكنولوجيا إنتاج المواد التعليميـــة، دار غريب، مصر 2002، ص : 22-20.

(2) نفسه، ص : 40-39.

(3) محمد شبون ،الصورة في الكتـــــاب المدرسي ،السنة الأولى من التعليم الثانوي،الكويت، 2004، ص : 24.

(4) عبد العظيم الفرجاني، المرجع السابـــــــق، ص :41، والطويجي حسين مهدي، وسائل الاتصال وتكنولوجيا التعليم، دار العلم، الكويت، 1988، ص : 25-23.

(5) سعيد بن كراد، السميائيـــــات، مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار للنشر، سوريا، 2005، ط2، ص : 121-120.

(6) إسكندر كمال، العلاقة بين أنماط الصـــــورة والرسوم التوضيحية للكتب المدرسيـــــة، مجلة تكنولوجيا التعليم، الكويـــــت، 1986، عدد 19، ص : 18.

(7) الوثيقة التربوية للمنهـــــــاج، اللجنة الوطنية للمنهاج، مديرية التعليم الأساسي، ديسمبر 2003، ص : 40-38.

(8) نفسه، ص : 87.

(9) ينظر كتاب التاريخ والجغرافيا صفحة الغلاف الخارجي .

(10)ينظر صفحات 16 17- مثـــــــــــــلا من الكتاب

(11) ينظـــــــــــــــــر ص : 17 من الكتاب
(12) الوثيقة التربوية المرافقـة للمنهاج، ص : 95.
(13) ينظر مقدمة كتاب الجغرافيا، السنة الثالثـــة ابتدائي، إشراف بلقاسم ناصر ومحمد عبد الله، ديوان المطبوعات المدرسية الجزائر2012-2011.
(14) مثل كتـــــــــــاب التاريخ .
(15) نفسه، ص : 26، 27، 30 مثلا.
(16) الوثيقة التربوية لمنهاج التعليم الأساسي، ص : 15.
(17) ينظر كتاب الجديد في التربية المدنية للسنة الثالثـــة ابتدائي، إشراف محمد شريف عميروش، الجزائـــــــــــــــر2012-2011، ص : 7،9.
(18) ينظر مقدّمة الكتاب، الجديد في التربية المدنية للسنة 3 ابتدائي.
(19) ينظر نفســـــــــــــــــه، ص : 35، 36، 37، 42 مثلا.
(20) ينظر نفســـــــــــــــــــــــه، ص : 26، 31، 36.